الوزير توبه بن علي بن مهاجر (تقي الدين بن توبة) حياته وتوليته الوزارة في دمشق (620هـ-698ه)

م.م.محمد ثجيل دشر

mothugail@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية/ قسم شؤون الاقسام الداخلية

الملخص

تناولت هذه الدراسة شخصية إسلامية تولت خزانة دمشق ومن ثم تولى الوزارة في دمشق عدم مرات متوالية وكانت بدايتها في محرم سنة تسعين وست مئة للهجرة استطاعت ان تدعم مكانتها بين سلاطين الدولة المملوكية واثبتت كفاءتها فيتولي عدة مناصب وعلى الرغم من كثرة عزله وتوليه من منصب الوزارة الا انه استطاع بذكاءه وشجاعته ان يتولى منصب الوزارة في دمشق مع خمس سلاطين على التوالي وهم (المنصور، والأشرف والعادل وكتيغا والمنصورة لاجين) ويذكر انه كان جهبذاً مالياً معروفاً بالتمويل وكان دائما ما يقوم بحفظ اموال المملكة والعمل على تنميتها، وايضاً كان يستخدم اشخاص لديهم الخبرة الكفاءة والثقة حتى يوليهم اعمالهم ويلزمهم بأتباع العمل لانه كان ذو همة عالية ولديه صفات تشبه صفات ابيه وفيه سماحة وكرم بسيط وكانت اخلاقه حسنة وليس فيه جبروت وكانت هذه الصفات كافية على ان تجعله يتولى الوزارة ، اما في مجال التجارة المعروف عنه انه تاجر منذ البداية دائماً ما يتجول ما بين بغداد والروم وبلاد بكر وعندما احتل المغول بغداد ذهب الى دمشق واستوطن فيها ولكون دمشق مدينة غير عادية او مجرد مدينة تابعة الى بلاد الشام نظر اليها المماليك نظرة خاصة وعلى هذا الاساس وضعوا لها تقسيمات ادارية حتى يضمن استقرارهم السياسي والاقتصادي فيها وايضاً تناول البحث فضائل كثيرة لهذا الوزير منها ازدهار دمشق في العصر المملوكي ازدهاراً كبيراً وكذلك الدور السياسي الذي لعبه هذا الوزير في الوزارة المملوكية.

الكلمات المفتاحية:تقي الدين بن توبة – الوزارة – دمشق – خزانة دمشق.

Minister Tawbah Ali bin Muhajir (Taqi al-Din bin Tawbah) his live and his assumption of the ministry in Damascus (620 AH-698 AH)

M.M. Muhammad Thajil Dasher

mothugail@uomustansiriyah.edu.iq

Al-Mustansiriya University/Department of Internal Departments

Abstract:

This study dealt with an Islamic figure who took over the treasury of Damascus and then took over the ministry in Damascus several successive times, beginning in Muharram n the year six hundred and ninetyAH.

She was able to strengthen her position among the sultans of the Mamluk state and proved her competence in assuming several positions.

Despite his frequent removal and assumption of the position of minister, he was able, with his intelligence and courage, to assume the position of minister several times and convince the sultans of his ability to manage and assume the position of minister in Damascus with five sultans in a row, namely (AL-Mansour, AL-Ashraf, AL-Adil, Katiga, and AL-Mansour Lajin)it is mentioned that he was a financial genius known for his financing, and he always preserved the kingdoms money and worked to develop it.

He also used people who had experience, competence and trust in order to assign them their work and oblige them to follow the work because he was of high determination and had qualities similar to

those of his father, and he had simple tolerance and generosity. And his morals were good and he did not have tyranny, and these qualities were sufficient to make him hold several positions before assuming the ministry.

As for the field of trade, he is know to have been amerchant from the beginning ,always traveling between Baghdad, the Romans, and Bilad Baker.

When the Mongols occupied Baghdad, he went to Damascus and settled there. Because Damascus was an unusual city. Or just a city belonging to the levant, the Mamluks looked at it with a special look, and on this basis, they established administrative divisions for it.

In order to ensure their political and economic stability there, the research also dealt with many virtues of this minister, including the great prosperity of Damascus in the Mamluk ear, as well as the political role that this minister played in the Mamluk ministry.

Keywords:Taqi al-Din Ibn Tawbah - Ministry - Damascus - Treasury of Damascus.

المقدمة (Introduction)

حكم المماليك مصر والشام بعد الأيوبيين،وحرصوا منذ أن استقرت لهم الأوضاع في تلك الأقطار على إقرار الأمن في دولتهم وتكوين دولة قوية،وقد شغل إدارة المناصب الهامة في دولتهم في مصر والشام المخلصين للدولة ولسلطانها،وقد قسم المماليك بلاد الشام إلى ستة أقسام إدارية أساسية تسمى نيابات تخضع للحكومة المركزية في القاهرة، وهذه النيابات هي نيابة دمشق، ونيابة حلب، ونيابة طرابلس،ونيابة حماة، ونيابة صفد، نيابة الكرك، وكانت نيابة دمشق كبرى النيابات الشامية(العدوي،1988)، وكان يتولى أمرها والٍ ينظر في شئونها لا يقل وزنه السياسي عن السلطان الحقيقي نفسه في القاهرة،وكان الوزير الرجل الثاني في نيابة دمشق بعد نائبها، لذلك كان يتم اختيار الوزير من أفضل رجال الدولة ومن أشد المخلصين لها، وقد تولى تقي الدين بن توبة الوزارة عدة مرات لخمسة سلاطين على التوالي وهما المنصور، الأشرف، العادل، كتبغا،المنصور لاجين، ويدل ذلك على مكانته الهامة حينئذ،ومن هذا المنطلق يكمن العامل الرئيسي في اختيار موضوع البحث عن شخصية الوزير تقي الدين بن توبة لتوضيح الدور الذي قام به ومكانته لدى سلاطين الدولة المملوكية،مع إلقاء الضوء على تولية الوزارة لعدة مرات متوالية لخمسة من السلاطين ،ونتيجة لذلك فموضوع الدراسة جديد لم يتناوله أحد من الباحثين بالدراسة التفصيلية الدقيقة حسب علمي.

وقد قسمت الدراسة إلى الآتي :-

المبحث الأول: العصر السياسي .

المبحث الثاني: سيرته الشخصية .

المبحث الثالث:المناصب التي تولاها .

المبحث الأول: العصر السياسي (Abbasid era) .

لم تكن بلاد الشام مجرد إقليم تابع للدولة،كما أن دمشق لم تكن مدينة عادية مثل غيرها، فقد كانت الجناح الأيمن للدولة المملوكية وبدونها يتعذر عليهم الاحتفاظ بوجودهم وكيانهم،ولذلك نظر المماليك إلى الشام نظرة خاصة،فوضعوا لها التقسيمات الإدارية التي تضمن لهم فيها الاستقرار السياسي والاقتصادي،كما أنهم يعينون في مدن الشام عامة ودمشق بصفة خاصة أفضل رجالهم في الوظائف المختلفة(أبو الفرج،2000،ص19)

(أجلس قلاوون على تخت الملك في يوم الأحد العشرين من رجب وحلف له الأمراء وأرباب الدولة وتلقب بالملك المنصور... وزينت القاهرة ومصر وظواهرهما وقلعة الجبل وأقيمت له الخطبة بأعمال مصر)(المقريزي،1997،ص122)

وعمل السلطان قلاوون على تدعيم قوته بإسناده المناصب الكبرى إلى خشداشيته (أي زملائه)،فعين بعضهم في المناصب الكبرى مثل نيابة السلطنة والوزارة،كذلك رفع السلطان قلاوون من قدر عتقائه وألزامه،وصيرهم ولاة الأمور،وقادة العسكر،ونواباً في الممالك(العيني،2010، ص227)

وتوالى السلطان قلاوون على الحكم ثلاث مرات ، يُعزل أو يعزل نفسه نتيجة تحكم الأمراء به وتضييقهم عليه، كانت المرة الأولى من سلطنته في سنه 693ه/1294م حين تسلطن كتبغا بن عبدالله المنصوري، وتسمى بالعادل، وحلف له الأمراء بمصر والشام،وفي

عهد كتبغا ارتفعت الأسعار بشكل كبير في مصر والشام،وأكل بعض الناس الجيف والميتة والكلاب والقطط، ثم أعقب ذلك وباء الطاعون مات فيه كثير من الناس،لدرجة أن بعض الناس لم يجد من يدفنه،فأكلتهم الكلاب وهم ملقون على قارعة الطرق(أبو مصطفى،2017،ص127) خرج كتبغا إلى الشام وعندما وصل دمشق عزل نائب دمشق الأمير عز الدين أيبك الحموي،وصادر أمواله،ووضع مكانه مملوكه أغرلو الزيني(شجاع الدين،1998، ص 542) وعندما عاد كتبغا إلى مصر،أجتمع عدد من الأمراء والمطالبون بالثأر على خلعه والإيقاع بمماليكه(المنصوري،1998،ص311) وذلك لقيام كتبغا بتقديم المماليك الأويراتية،لكونهم من جنسه، وعدم اهتمامه بكبار الأمر وتطاول مماليكه على الناس،وقلة أدبهم واساءتهم لكبار الأمراء،واثناء اجتماع الأمراء المتآمرين ضده والمخططين لخلعه استوثق بعضهم البعض باليمين على خلعه دون قتله(العيني،2009،ص179) وتولي لاجين المنصوري السلطنة وتسمى بالمنصور وقد تمكن كتبغا من الهرب إلى دمشق وذلك في المحرم سنه 696هـ/1297م، وأقام لها أياماً،وبها مملوكه أغرلو(المنصوري،1998،ص311) واستدعى كتبغا الأمراء والفقهاء وأخبرهم بما فعل لاجين ، وطلب منهم أن يجددوا بيعتهم له مرة ثانية،ففعلوا وأصبحت سلطنة العادل كتبغا محصورة على الشام فقط(العيني،2010،ص297) ولكن بعد بضع أيام من إعلان سلطنته في القاهرة،بدأ الناس في دمشق بالتخلي عن العادل كتبغا تدريجياً،ثم تلاشى أمره، وأرسل حسام الدين لاجين مراسيم شريفة لقضاة دمشق،وطلب من أمراء دمشق أن يجتمعوا في دار السعادة،ويقرأوا مراسم السلطان لاجين على العادل زين الدين كتبغا،فحضر ،وقرأوا عليه مراسيم السلطان لاجين ،وأمره بأن يخلع نفسه من السلطنه وتوجه معززاً إلى صرخد للإقامة بها، فأجاب بالسمع والطاعة(بن إياس،1984،ص392)

وتعقيباً على سلطنة العادل كتبغا يمكن القول بأن كتبغا قد نجح في إدارة البلاد خلال سلطنته،ولكن ساءت الأوضاع الاقتصادية في البلاد في عهده وارتفعت الأسعار ،وحدثت مجاعة ومات كثير من الناس،مما أثر ذلك على الأوضاع السياسية والعسكرية في البلاد، ومن المواقف المحمودة لكتبغا أنه بعد انقلاب لاجين عليه ومؤامراته ضده رفض الدخول في معركة جديدة،وإعلان استقلال الشام عن مصر ،وأعلن تنازله عن السلطنة،للحفاظ على وحدة البلاد الداخلية،وبين للأمراء أنه لا يريد أن يكون سبباً في احتدام الصراع بين المماليك،وتنازل عن السلطة للاجين .

بعد ذلك قام السلطان لاجين بنفي الناصر محمد بن قلاوون إلى الكرك في نصف ذي القعدة من سنه 696هـ/3 سبتمبر 1297م،قبض السلطان لاجين على نائب السلطة شمس الدين قراسنقر المنصوري،ثم قبض على الوزير شمس الدين الأعسر (اليوسفي،1986،ص72)

وكان الأمير سيف الدين قبجق (الصفدي،دون عام نشر ، ص62) قد ساعد لاجين في عزل العادل زين الدين كتبغا ،وكان مكانة قبجق في الدولة مثل لاجين، وبعد تولي لاجين السلطنة خير قبجق بين نيابة الشام،ونيابة مصر،فأختار قبجق نيابة الشام،وظهر من تعظيم لاجين له،أنه كان يكتب له في

الرسائل بـ "الجناب العالي"، وبعد تولية لاجين للأمير جاغان "أحد مماليك لاجين" (الصفدي،لم يذكر عام نشر ،ص150) في وظيفة مسؤول الدواوين،وكان جاغان مُدللاً لدى لاجين،وكان جاغان يُضايق قبجق كثيراً،وكان لا يرد على رسائله، ثم نشأت بينهما منافسة،وكان جاغان حاقداً على قبجق ،وكان يُلصق به اتهامات وافتراءات باطلة ويقوم بإرسالها إلى السلطان لاجين،وذلك لطمع جاغان في نيابة السلطنة في دمشق، وأرسل قبجق إلى الأمير أقوش الأفرم،وكتب له على تطاول جاغان عليه،ولم يرد الأفرم على رسالة قبجق،وأظهر قبجق الرضا،ولكنه كان يضمر في داخلة الغضب،وازدادت المؤامرة على قبجق ،عندما أغلى منكوتمر صدر لاجين ليقبضوا على الأمير قبجق،الذي هرب من الشام وهرب معه مجموعة كبيرة من الأمراء،وتوجهوا إلى غازان ملك المغول،وأجبر كثير من أمراء الشام إلى الهروب إلى المغول والنجاة بأنفسهم من بطش وجبروت السلطان لاجين (الصفدي، لم يذكر عام نشر،ص 67)

مما سبق نستنتج أن السلطان لاجين كان يصفي خلافاته الداخلية مع الأمراء واحداً تلو الآخر،ولم تكن فيه ميزة التسامح والعفو، كغيره من الأمراء، وكان يُحب الانتقام، وهذا هذا سبباً آخر لهروب أمراء من المماليك إلى المغول،وكثرة عزل وتعيين الوزراء،وذلك للخوف من بطش وجبروت السلطان لاجين،ويتضح أيضاً بأن حسام الدين لاجين هو المسؤول الأول والأخير عن تفكيك الجبهة الداخلية للمماليك،فبتصرفاته الخاطئة أجبر كبار أمراء المماليك الأقوياء بأن يكونوا عوناً للمغول، بدلاً من أن يكونوا أعداءاً لهم،فزين

الدين كتبغا ضحي بالسلطنة من أجل بقاء وحدة المماليك،أما حسام الدين لاجين فقد فرق المماليك،وأنهى وحدتهم من أجل أن يبقى سلطاناً .

ولكن مع شدة وقسة لاجين في التعامل مع أمراءه لم يسلم هو أيضاً من المؤمرات والخيانة ولم يطل حكمه حتى قُتل في شهر ربيع الأول سنه 698هـ/1299م،وخلفه في الحكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون وكانت هذه سلطنته الثانية،وقد تكرر العزل والتعيين في ولاية الشام في عهد سلاطين ويعلق اليوسفي على ذلك قائلاً (إن وضع معظم نواب الشام لم يكن مستقراً حتى أن بعضهم لم تتعد ولايته بضعة أشهر، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن السلطان كان يعين الأمراء الذين يخشى خطرهم في النيابات البعيدة عن مركز السلطان،ثم يلجأ إلى اعتماد الحيلة، للقبض عليهم، والتخلص منهم)(اليوسفي،1986،ص 72)

وكان سلاطين الدولة المملوكية دائم المراقبة لأمرائهم ووزرائهم وعمال دولتهم وأفعالهم،فلم يغفلوا عنهم لحظة،وكان يشعرون بهذه المراقبة ويخشونها،فلم يجرؤ أحمد في أغلب الأحيان على تجاوزهم في أي عمل (الصفدي، مرجع سابق، ص97)

وفي سنه 708هـ /1308م أعلن السلطان الناصر إعفاؤه من السلطنة، فتسلطن بيبرس الجاشنكيز ،وأستلم الحكم ولكن رفضه الشعب وتمنى الخلاص منه،لتأييدهم للناصر محمد قلاوون،ويريدون إعادته للسلطة،وبالفعل عاد السلطان الناصر إلى حكمه وكانت هذه سلطنته الثالثه والتي إستمرت من سنه 709هـ /1309م إلى وفاته سنه 741هـ/1340م (أبو بكر ،2012).

المبحث الثاني: سيرته الشخصية (personal biography)

هو توبة بن مهاجر بن شجاع بن توبة الصاحب تقي الدين أبو البقاء الربعي التكريتي ، المعروف بالبيع ، ولد يوم عرفة سنه عشرين وستمائة(ابن كثير،1988).

وقال عنه الصفدي (كان يظلم الناس ويعسف، ويهيل كثبان الأموال وينسف، إلا أنه مع ظلمه فيه مروءه، وعنده من الإسلام بقايا رحمة مخبوءه، وتقريب لأهل الصلاح، وإدخار من دعاء الفقراء، فإنه أوقى حبه وأمضى سلاح، ولم يكن له باطن ينطوي على غش، ولا يسكن الخبث معه في عش،وفيه سماح ومزاح غير مزاح،وكرم يباري به الرياح،وحسن خلق يصفو به كدر الماء، ويتلعب بالقلوب تلعب الأفعال بالأسماء،يقتني الخيول المسومة،والمماليك الملاح الذين وجوههم أقمار على رماح مقومه،ولم يزل على حالة إلى أن جاءت نوبة توبة،وسقاه عمام الحمام صوبه،ووفاته رحمه الله تعالى في جمادي الآخرة سنه ثمان وتسعين وست مائة) (الصفدي، 2000،ص270)

في حين أن الذهبي مدحه بالقول:(له همه عالية، ونفس أبية،وفيه سماحة وكرم وبسط،وحُسن أخلاق ومزاح،وعدم جبروت،وكان يبتني الدور الحسنة،ويشتري المماليك الملاح (الذهبي،2000،ص348) ويتبين لنا من خلال مقارنة النصوص التاريخية بأن الذهبي كان من المادحين والميالين له ولسلوكه أما الصفدي فيبدو من خلال النص التاريخي الذي قام بسرده بأنه قام بذمه في بادئ النص ومن ثم قام بمدحه.

ويقال عنه أنه كان عنده مملوك مليح أسمه أقطوان، فخرج ليلة يسير وأقطوان خلفه إلى وادي الربوة،فمر على مسطول وهو نائم، فلما أحس بركض الخيل فتح عينيه وقال يا الله توبة، فقال تقي الدين:والك ايش تعمل بتوبة، واحد شيخ نحس،أطلب منه أقطوان أحب إليك(أبو المحاسن ،1986،ص:180)

وقد عمر لنفسه تربة كبيرة تصلُح الملك تقع بسفح جبل القادسية على حافة نهر يزيد(الدمشقي،2014،ص44) وصلوا عليه غدوة بسوق الخيل،وحضر جنازته الأمراء والقضاة والأعيان وباشر بعدة نظر الدواوين فخر الدين بن الشيرجي،وأخذ أمين الدولة بن الهلال نظر الخزانة(ابن كثير،1988،ص5).

المبحث الثالث:المناصب التي تولاها (The positions he held)

خلال هذا المبحث سنقوم بذكر المناصب التي تولاها بما في ذلك الوزارة وما قبلها، فقد كان في البدء تاجراً يجول بين بغداد وبلاد الروم وديار بكر،وعند احتلال المغول للعراق (656هـ/1258م) قدم دمشق وأستوطنها وترقى في المناصب وأقرض المنصور قلاوون ستين ألف درهم بلا فائدة، فلما تولى المنصور السلطة حل عنه الضمان وأطلق له ما كان مكسوراً،وهو ما يقارب مائة ألف درهم،

وتولى الخزانة بدمشق،ثم تولى الوزارة في عهد خمسة سلاطين هم المنصور ،الأشرف،العادل،كتبغا،المنصور لاجين(إسماعيل،2008، ص:138)

وقال عنه الصفدي (كان تاجراً وتعانى بالتجارة والسفر،وعرف السلطان المنصور قلاوون حال إمرته وعامله وخدمه،فلما تسلطن مخدومة الملك المنصور ولاه وزارة الشام(الصفدي،2000،ص270)

وكان تقي الدين من الصيارفة والجهابذة (الجهبذ، دون عام نشر،ص293) بدمشق على علم ودراية بها،وتولى منصب الوزارة وكان ذا حشمة ورياسة،وكان جهبذاً مالياً معروفاً بالتمويل،وقال ابن الصيرفي (يختار لمن يعمل في الدواوين المالية، كاتب مأمون، طويل الروح،متأبٍ في عمله،صبور على التعب،محب للعمل، يضع الحسابات في تذاكر)(ابن الصيرفي،1990،ص30)

يتبين لنا مما سبق بأن الدولة المملوكية كانت تقوم بتعيين أصحاب الأموال للاستفادة منهم ومن أموالهم ويبدو ذلك واضحاً من خلال العلاقة التي كانت قائمة بين السلطان قلاوون وتقي الدين.

أما بالنسبة لمنصب الوزارة فقد كان الوزير يقوم بحفظ أموال المملكة والعمل على تنميتها، واستخدام الأشخاص ذوي الكفاءة والثقة ويوليهم أعمالهم ويلزمهم بإتباع العمل،ويحذرهم من الظلم والخيانة ويرفع مكانة من أحسن عمله،ويشرف الوزير على جباية الأموال من أعشار التجار والخراج والغنائم،كما أنه يشرف على مصالح القلاع ويضاعف ذخائرها،وعلى الوزير إتباع الطرق الصحيحة والسليمة في الجباية ، وكان الوزير تقي الدين متمكناً من عمله كوزير لخبرته السابقة في خزانة الدولة وعمله كتاجر(العملة،2000، ص80)

وكان يلي نائب السلطنة الوزير في دمشق ويتم تعيينه من قبل السلطان ويصف ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار الوزارة في عهد قائلاً (.... وأما وظائف أرباب الأقلام،فأجلها الوزارة لأنها ربها ثاني السلطان إذا أنصف وعرف حقه...)(العمري،**2010**، ص121)

وكان يستخدم الأشخاص ذوي الكفاءة والثقة في منصب الوزارة لإلتزامهم بالعدل،وكان على الوزير أن يتبع الطرق الصحيحة والسليمة في الجباية،وكان الوزير يتناول راتباً شهرياً مقداره مائتان وخمسون دينار عدا ما خصص له في كل يوم من مقادير وفيره من الغلال واللحوم والخبز والزيت وعلف الدواب ومقادير من اللحم التي ترسل إلى داره في شهر رمضان والعيدين (الزربا،1980،ص 121)

لما استلم الملك المنصور قلاوون السلطنة ولّاه نظر الخزانة السلطانيّة بدمشق، ثمّ فوّض إليه وزارة دمشق في خامس شوّال سنة ثمان وسبعين وستّمائة عوضا عن فتح الدين ابن القيسرانيّ، وخلع عليه خلع الوزراء.وتلقّب بالصاحب. فلمّا تسلطن سنقر الأشقر بدمشق قبض عليه في خامس عشرين ذي الحجّة، واستوزر مجد الدين إسماعيل بن كسيرات. وسجنه بقلعة دمشق إلى أن انهزم عن دمشق. فخرج فيمن خرج من الاعتقال وعاد إلى الوزارة، وحملت إليه الخلع من مصر. فلبسها في ثاني عشر ربيع الأوّل سنة تسع وسبعين. وأعطي دواة الوزارة فباشر الوزارة إلى أثناء جمادى الأولى. ثمّ احتيط عليه وحبس وأخذ له مال كثير. ثمّ استقرّ ناظر النظّار بالشام شريكا للتاج ابن السنهوريّ في شعبان منها، ثمّ أعيد إلى الوزارة بدمشق عوضا عن محيي الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن النحّاس. فسافر من القاهرة إلى دمشق، وقدمها سلخ ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وستّمائة، ثم صرف عنها. واستقرّ ناظر الدواوين بالشام في ربيع الآخر سنة سبع وثمانين، إلى أن قدم الأمير علم الدين سنجر الشجاعيّ مع السلطان إلى دمشق بعد فتح طرابلس في جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين. فأوقع الحوطة عليه وباع له بضائع ما بين سكّر وخشب وغيره بنحو خمسمائة ألف درهم. وأخرجه مع العسكر مقيّدا إلى مصر. فلمّا وصل بيسان مرّ عليه الأمير طرنطاي النائب والأمير كتبغا، وهو بالزردخاناه، فسبّهما كما هي عادته، فأتياه ومازحاه وضمنا خلاصه. فلمّا عادا قبل السلطان شفاعتهما وأفرج عنه وسلّمه لهما. فلم يزل بالقاهرة إلى أن مات الملك المنصور قلاوون وقام من بعده ابنه الملك الأشرف خليل.[ف] أعاده إلى وزارة دمشق. فخرج من القاهرة ودخل دمشق في الخامس من المحرّم سنة تسعين وستّمائة. ثم عزل في ثاني عشر رجب، واستقرّ عوضه ابن النحّاس. وأبطل اسم الوزارة بدمشق ودعي ابن النحّاس ناظر الشام. فلمّا تسلطن العادل كتبغا كان توبة بالقاهرة. فولّاه وزارة دمشق على عادته في الأيّام المنصوريّة(المقريزي،2006، ص 360) ولما أُعيد إلى الوزارة،قال فيه شمس الدين بن منصور ،موقع غزة :-

عتبت على الزمان وقلت مهلاً أقمت على الخنا وليست توبة

ففاق من التجاهل والتعامي وعاد إلى التُقى وآتى بتوبة (أبو المحاسن،1986،ص180)

ونقلت من خط علاء الدين بن مظفر الوادعي ما كتبة إلى الصاحب تقي الدين وقد سقط من على حصان:-

فديناك لأتحسن من وقعة فإن وقوعك للأرض فخراً

سقوط الغمام بفصل الربيع ففي البر بر وفي البحر در

وكتب إليه أيضاً

لا تخف يا أيها الصا حبُ من وقع الحصان

أنت غيثٌ ووقوع الغيـ ـث من خصب الزمان

وكتب إليه أيضاً :-

إني حلفت يميناً لم آت فيها بحوبة

مذ أقعدتني الليالي ى قمت إلا بتوبه (الصفدي،2000،271)

يتبين لنا من خلال دراسة المصادر التاريخية بأن تقي الدين بلغ من العمر نحو ثمانين سنة،وولى وزارة دمشق سبع مرات (النويري،1423،ص163) أما بخصوص الصلاحيات التي كان يتمتع بها فتمثلت بإدارة الخزانة السلطانيّة،دواة الوزارة، ناظر النظّار ، ناظر الدواوين

الخاتمة

إزدهرت دمشق في العصر المملوكي إزدهاراً كبيراً في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية ويشهد على ذلك الدور السياسي الذي لعبته الوزارة والوزراء في الحياة السياسية المملوكية.

إعتبرت نيابة دمشق أهم نيابات الشام على الإطلاق،وكانت تأتي من حيث الأهمية في الدولة المملوكية بعد القاهرة،ولذا تمتع متولي الوزارة بدمشق بصلاحيات لم تعط لأحد وزراء الشام.

كان تقي الدين بن توبة في بدء حياته تاجراً يجول البلاد بين بغداد وبلاد الروم وديار بكر،وكانت له علاقة وطيدة مع أمراء الدولة المملوكيه حينها،فقد قام بإقراض المنصور قلاوون قبل تولية السلطنة ستين ألف درهم بلا فائدة، لذلك قام المنصور قلاوون بمكافئته بتولية الخزانة بدمشق، وكان تقي الدين خير رجل في هذا المنصب وقد إستطاع الوصول إلى منصب الوزارة بعد ذلك،وقد تولاه لخمسة سلاطين على التوالي وهما المنصور،الأشرف، العادل،كتبغا،المنصور لاجين وذلك يدل على مكانة تقي الدين لدى سلاطين الدولة المملوكية،وقدرته على إقناعهم في الإعفاء عنه بعد القبض عليه عدة مرات ومصادرة أمواله وإعادته إلى منصبه بكامل هيبته وفي منصبه السابق كوزير الدولة المملوكية بدمشق .

المصادر والمراجع

ابن الصيرفي,أمين الدولة أبو القاسم علي بن منجب سليمان الكاتب(1990): القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة, تحقيق أيمن فؤاد سيد,الدار المصرية اللبنانية, ط1 .

ابن فضل الله العمري,شهاب الدين أحمد بن يحيي (2010): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار, تحقيق كامل سليمان الجبوري, مهدي النجم, دار الكتب العلمية, بيروت - لبنان.

ابن كثير,الحافظ ابن كثير الدمشقي (1988): البداية والنهاية, مكتبة المعارف, بيروت.

أبو الفرج,هيام صالح يحيي (2000):مجتمع دمشق دوره السياسي في عصر الدولة المملوكية الثانية (784-923ه/ 1382-1517م),رسالة ماجستير,إشراف محمد المنسي محمود عاصم,جامعة أم القرى,السعودية.

أبو المحاسن,يوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن (1986):المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي, تحقيق محمد محمد أمين,الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أبو بكر,منال أحمد خليل,صورة السلطان الناصر محمد بن قلاوون(2012): في أدب العصر المملوكي الأول,رسالة ماجستير,إشراف مصطفى عبدالرحيم,جامعة النجاح الوطنية,نابلس- فلسطين.

أبو مصطفى,محمد إلياس (2017):دور الخطر المغولي في توحيد الجبهة الداخلية للمماليك, رسالة ماجستير, إشراف رياض مصطفى شاهين,الجامعة الإسلامية,غزة - فلسطين.

إسماعيل,إكتمال (2008): الآثار الاجتماعية للحملات المغولية على بلاد الشام (1250-1400ه), دار سلان.

بن إياس,محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (1984):بدائع الزهور في وقائع الدهور,تحقيق محمد مصطفى, الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بيبرس المنصوري,ركن الدين الدوادار,(1998):زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة,تحقيق دونالد س.ريتشاردز,طبع على نفقة المؤسسة الألمانية للبحث العلمي,ط1.

الدمشقي,عبدالقادر النعيمي(2014):الدارس في تاريخ المدارس,إعداد وتقديم عمار محمد النهار,منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب,وزارة الثقافة- دمشق.

الذهبي,شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (2000): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام, تحقيق عمر عبدالسلام تدمري, دار الكتاب العربي , بيروت- لبنان , ط1.

الزربا,فريال بدوي يوسف (1980):الحياة الاجتماعية في دمشق في العهد المملوكي,رسالة ماجستير,إشراف مصطفى علي الحياري, الجامعة الأردنية,عمان.

الصفدي,صلاح الدين خليل بن أيبك(1998):أعيان العصر وأعوان النصر,تحقيق علي أبو زيد وآخرون,قدم له مازن عبدالقادر المبارك, دار الفكر - دمشق,ط1.

العيني,بدر الدين محمود(2010):عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان,تحقيق محمد محمد أمين عطية,مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

المقريزي,تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر العبيدي (1997):السلوك لمعرفة دول الملوك, تحقيق محمد عبدالقادر,دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان,ط1.

اليوسفي,موسى بن محمد بن يحيي (1986):نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر,تحقيق أحمد حطيط,عالم الكتب,بيروت, ط1.

References

Ibn al-Sayrafi, Secretary of State Abu al-Qasim Ali ibn Munjib Suleiman al-Katib (1990): The Law in the Diwan of Messages and the Reference to Who Obtained the Ministry, edited by Ayman Fouad Sayyid, Al-Dar al-Masriyya al-Lubaniyya, 1st edition.

Ibn Fadlallah al-Amri, Shihab al-Din Ahmad ibn Yahya (2010): Paths of Vision in the Kingdoms of the Lands, edited by Kamel Suleiman al-Jubouri, Mahdi al-Najm, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon.

Ibn Kathir, Al-Hafiz Ibn Kathir Al-Dimashqi (1988): The Beginning and the End, Al-Ma'arif Library, Beirut.

Abu Al-Faraj, Hiyam Saleh Yahya, Damascus society and its political role in the era of the Second Mamluk state(2000): Master's thesis, supervised by Muhammad Al-Mansi Mahmoud Assem, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia.

Abu Al-Mahasin, Yusuf bin Taghri Bardi Al-Atabeki Jamal Al-Din Abu Al-Mahasin (1986): Al-Manhal Al-Safi and Al-Mustafi after Al-Wafi, edited by Muhammad Muhammad Amin, Egyptian General Book Authority.

Abu Bakr, Manal Ahmed Khalil, The Image of Sultan Al-Nasir Muhammad Ibn Qalawun (2012): in the Literature of the First Mamluk Era, Master's thesis, supervised by Mustafa Abdel Rahim, An-Najah National University, Nablus – Palestine.

Abu Mustafa, Muhammad Elias, the role of the Mongolian threat in unifying the Mamluk internal front (2017): Master's thesis, supervised by Riyad Mustafa Shaheen, Islamic University, Gaza - Palestine.

Ismail, Iktamal, (2008): The Social Impacts of the Mongol Campaigns on the Levant, Dar Salan.

Ibn Iyas, Muhammad Ibn Ahmad Ibn Iyas al-Hanafi, Wadi' al-Zuhur fi Waki'i al-Awhar, (1984): edited by Muhammad Mustafa, Egyptian General Book Authority.

Baibars Al-Mansouri, Rukn Al-Din Al-Dawadar, (1998): The Butter of the Idea in the History of Migration, edited by Donald S. Richards, printed at the expense of the German Foundation for Scientific Research,1st edition.

Al-Dimashqi, Abdul Qadir Al-Naimi (2014): the student in the history of schools, prepared and presented by Ammar Muhammad Al-Nahar, publications of the Syrian General Authority for Books, Ministry of Culture - Damascus.

Al-Dhahabi, Shams Al-Din Muhammad bin Ahmed bin Othman Al-Dhahabi (2000): The History of Islam and the Deaths of Celebrities and Notables, edited by Omar Abdul Salam Tadmurri, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut - Lebanon, 1st edition.

Al-Zarba, Faryal Badawi Youssef, (1980): Social Life in Damascus in the Mamluk Era, Master's thesis, supervised by Mustafa Ali Al-Hiyari, University of Jordan, Amman.

Al-Safadi, Saladin Khalil bin Aybak (1998): Notables of the Age and Helpers of Victory, edited by Ali Abu Zaid and others, presented by Mazen Abdul Qadir Al-Mubarak, Dar Al-Fikr - Damascus, 1st edition.

Al-Aini, Badr al-Din Mahmoud (2010): The Contract of Juman in the History of the People of the Time,edited by Muhammad Muhammad Amin Attia, National Library and Archives Press in Cairo.

Al-Maqrizi, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad bin Ali bin Abdul Qadir al-Ubaidi (1997): Behavior to Know the Countries of Kings, edited by Muhammad Abdul Qadir, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon, 1st edition.

Al-Yousifi,Musa bin Muhammad bin Yahya (1986): Nuzhat al-Nazir fi the Biography of King Nasser, edited by Ahmed Hoteit,Alam al-Kutub,Beirut,1st edition.